

على الخلف

الاستعداد للمعركة بدعم «تخصصي» من حزب الله والحرس الثوري معركة يجب خلالها ساعات

وصل قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني قاسم سليمانبي إلى بيجي قبل يومين ثم انتقل إلى سوريا. استراح في القرية التي أعدت مسبقاً لاستقباله، داخل معسكر يشكك في قدرة عمليات أمنية واستخبارية بقيادة عراقية. تضم خبراء من الحرس الثوري وحزب الله. أما المعلومات الميدانية، فتكشف أن المعركة ستستمر خلال الساعات القليلة المقبلة لاستعادة بيجي كاملة.



الانظار متجهة إلى بيجي، العقدة التي تتوسط الطريق المؤدي إلى أرض «الخلف» (الأخبار)



قاسم سليمانبي في بيجي (الأخبار)

وفصائل المقاومة العراقية، في سبيل وضع خطة المعركة وإدارتها. كذلك يبذلون جهداً جهيداً في العمل الاستخباري لجمع المعلومات عن معسكر العدو واستعداداته. يدخل على هذا الخط «المسترات»، طائرات استطلاع ومراقبة، التي تجوب السماء بيجي، راصدة كل كبيرة وصغيرة. إلى جانب المعلومات المستقاة من الهاربين من مناطق سيطرة «داعش»، ومعطيات تحصل عليها من إفادات الأسرى الذين اعتقلتهم أكثر من جهة، فضلاً عن رصد الاتصالات وتعبئها. وكل هذه المعطيات يسلمها «ضباط المعلومات»، بعد أن «تسجل» على الخرائط على هيئة أهداف وإحداثيات، إلى كتائب الحشد الشعبي.

من القاعدة العسكرية في شمال بيجي، إلى تل بوجراد من الجهة الغربية، وصولاً إلى مصفاة بيجي (المصفاة الأكبر في العراق) تنتشر المراسد التي تراقب «خطوط العدو»، كاميرات نهارية وحرارية ولييلية منطورة تراقب تحركات المعسكر المقابل، حشودهم واستعداداتهم وتحصيناتهم وحتى معالم تدل على خنادق حفرها أو شرعوا في حفرها. في الطرقات الواصلة بين المراسد الموزعة، حكايات متعددة. «صهريج مفخخ انفجر هنا»، لا تزال بقاياها معلماً في الطريق؛ «شاب من الحشد قنصه داعش عن بُعد 400 متر»، وقالت اكتشف تسليلاً للرداءات الذين يأتون تحت جنح الظلام.

أما أصوات إطلاق النار والانفجارات فتكاد تصبح خلفية موسيقية ألفها حُرّاس هذه الجبهة هنا. في تلك الأثناء، يُسمع أصوات إطلاق نار، يقول مرافقنا إنها آتية من شمال شرق مصفاة بيجي، علماً أن شمال وشرق ووسط وغرب مدينة

الصغيرة تحولت إلى نقطة انطلاق للمعركة استعادة بيجي التي تُقرع طبولها اليوم. وعلى هذه البقعة، تحولت بضعة منازل، استنّذت أهلها لاستعمالاتها، إلى غرفة عمليات استخباراتية. مجموعة ضباط من الحرس الثوري وحزب الله، لهم باع طويل في القتال، يساعدون الجيش العراقي و«الحشد» بالعمل على حُسن سير العمليات. يتولى هؤلاء التنسيق بين مختلف فصائل الحشد الشعبي، وينسقون إلى جانب ضباط من الجيش العراقي

جبهة القتال هذه. روتينٌ يكاد يُصبح اعتيادياً بالنسبة إليهم، ولا سيما أن بيجي، الواقعة ضمن محافظة صلاح الدين والتي تبعد عن العاصمة العراقية بغداد نحو 210 كيلومترات في الطريق المؤدي إلى الموصل، معقل «أرض خلافة الدولة الإسلامية». احتلها مقاتلو التنظيم المتشدد أول مرة العام الماضي، قبل أن يتمكن «الحشد الشعبي» من استرجاع 80% منها، ثم سقطت مجدداً بيد «الدولة الإسلامية» قبل أن يُستعاد نحو 20% منها. هذه البقعة

انطلاقاً حتى بدأ الرصاص ينهمر باتجاهنا مضيئاً عممة الليل. كنا نتعرض لاستهداف برصاص مدفع رشاش من عيار 23 ملم، بحسب قول أحد الركاب في السيارة. أوقف السائق السيارة وأطفأ الأضواء. كان السائر الترابي على يسارنا، لكن الرصاص استمر يُطلق باتجاهنا. دعا «الحاج» الجميع إلى مغادرة السيارة، فانسحبنا منها. افترش البعض الأرض، فيما بقي أحد الشبان المرافقين متأهباً خلف السيارة بسلاحه الرشاش. كنا خمسة ركاب في السيارة، ضابطان عراقيان وآخران من حزب الله وأنا. ظللنا على مقربة من السيارة ننتظر. في تلك الأثناء، شوهدت أضواء سيارة قادمة من بعيد. تعرّضت هي الأخرى لإطلاق نار، لكنها أكملت طريقها كونها مصفحة. مضت دقائق بدت طويلة انتظرنا فيها بناءً على أمر «الحاج»، بالترتيب إلى حين يتوقف إطلاق الرصاص. كنا نسمع حينها أصوات تكبيرات قريبة، قال أحد مرافقينا إنها «أصوات تكبيرات الدواعش»، فيما ردّ آخر بأن بينها «تكبيرات ونداءات جماعتنا»، أي الحشد الشعبي. تلا ذلك تبادل لإطلاق النار من كلا الطرفين. اشتدّ إطلاق النار وتخلّله صوت انفجار هداً بعدها قليلاً لإطلاق الرصاص. في حماة تلك المعمة، رفع «الحاج» نظره إلى السماء قائلاً: «كم هي جميلة اليوم... يا سبحان الله»، فردّ آخر «مليئة بالنجوم». هنا ضحك ثالث هازئاً رأسه، معللاً ضحكه بـ«يا عيني... حسيت صرنا بأجواء شهادة... الحمد لله اللي كنا صلينا». هنا أشار «الحاج» بالعودة إلى السيارة لتنتقل كالسهم على الطريق نفسها. أطلقت نضب لننتجوز الخطر. تلك هي حال الشباب المرابط على

رضوات مرتضى

كان الوقت وقت صلاة. توقف المقاتلون لأداء صلاتي المغرب والعشاء. طلب أحد المرافقين تأجيل الصلاة إلى حين الوصول إلى القاعدة العسكرية التي نتجه إليها، فالطريق لن تستهلك أكثر من ثلاث ساعات، لكن قائد المجموعة لم يُرد تأخير الصلاة أكثر. رُكبت السيارة عند نقطة للجيش العراقي على أعقاب مصفاة بيجي، حيث السيطرة على الجزء الأكبر من الأرض لتنظيم «الدولة الإسلامية». دقائق قليلة مضت، توّضاً فيها

كاميرات نهارية وحرارية ولييلية منطورة تراقب تحركات المعسكر المقابل

الجميع ليشرعوا في الصلاة. أظفر قائد المجموعة الصائم على شربة ماء ثم انطلقنا في طريق العودة إلى الدرب الواصلة بين المصفاة وأحد المعسكرات التي يتمركز فيها خبراء لبنانيون وإيرانيون يُشرفون على سير المعارك في تلك البقعة المشتعلة من العراق. على هذه الطرق، يُصبح التنقل خطراً ليلاً. يتداول العساكر هناك أخباراً عن كمائن وتسلل لـ«الدواعش» نتج منها اشتباكات جرت عن بُعد عشرات الأمتار فقط، فالمنطقة شبه مطوّقة من جهات ثلاث من أكثر التنظيمات تشدداً في العالم. في تلك الليلة، كان الظلام دامساً، فيما يخيم هدوء لا تخترقه سوى أصوات محركات السيارات الرباعية الدفع، التي تقلنا، إضافة إلى بعض أصوات الانفجارات العميقة التي تخرق صمت المكان. لم يدم السكون طويلاً. لم تكد تمر دقائق على

بدء التنسيق مع «مركز بغداد للمعلوماتي»

أعلن رئيس لجنة الدفاع والأمن في البرلمان العراقي، أمس، أن العراق بدأ بقصف أهداف لتنظيم «داعش» بمساعدة مركز استخبارات جديد يضم ممثلين عن روسيا وإيران وسوريا. وقال حاكم الزاملي، لوكالة «رويترز»، إن المركز الاستخباري («مركز بغداد للمعلوماتي») الذي يضم ستة أعضاء من كل دولة، بدأ العمل منذ أسبوع تقريباً. وأضاف أنه «اعتماداً على معلومات من المركز قصف سلاح الجو العراقي قافلة الأسبوع الحالي، كان يعتقد أنها تقل زعيم تنظيم داعش أبو بكر البغدادي». ورأى الزاملي أن من الممكن الاستفادة كثيراً من المعلومات الاستخبارية الروسية، حتى لو لم ينفذوا ضربات جوية. في غضون ذلك، أفاد مصدر في شرطة محافظة صلاح الدين بأن قوات مشتركة من الجيش العراقي و«الحشد الشعبي» تمكنت، مساء الاثنين، من السيطرة على مجمع القصور الرئاسية (غربي قضاء بيجي). وأشار المصدر إلى أن القوات المشتركة تقترب من ناحية الصينية (شمالي المحافظة)، أحد أهم معاقل تنظيم «داعش» مضيئاً أن «تنظيم داعش استخدم سيارتين مفخختين، إلا أن القوات المشتركة تمكنت من تدميرهما قبل الوصول إلى القطعات الأمنية غربي قضاء بيجي». كذلك، أكد المصدر أن «داعش» بدأ بحرق كميات كبيرة من النفط لإعاقة تقدم القوات المشتركة. (الأخبار، رويترز)

